

التربية والتعلم بالفن، بالألوان والرسم - تنشئة اللغة البصرية

Education and learning with art, colors and drawing- bringing up the visual language

د. لوت زينب^{1*}

loutlout211@gmail.com

¹ المدرسة العليا للأساتذة مستغانم - الجزائر

تاريخ النشر: 2020/06/30

تاريخ القبول: 2020/03/10

تاريخ الإرسال: 2020/03/04

الملخص:

يعدّ الرسم منطقة تكوين كل الأشكال المحيطة بالتّعلم المرجعي والقبلي للمتعلم، حيث يشخص نفسية الانسان ويتيح مجالا لتعميق التقارب اللوني والخطي للعالم المرئي وإبراز بهرجة اللون في بناء شخصيته، كما يجسد الوعي السلوكي والمنطق الفكري لدلالة الألوان وعلاقتها بتكوين وتنظيم المهارات، وكذلك يُعدّ من وسائل التحفيز الجمالي في خلق مجال للتّوسع وتقدير خواص الأشياء ومكوناتها وموضعها وسط الفضاء الفيزيائي والمعرفي والنفسي والإبداعي وحافزا مهما في تسيير مهارات التّعلم والسلوك التعليمي. الكلمات المفتاحية: الإبداع؛ الألوان؛ الرسم؛ الفن؛ التّعلم

Abstract:

Drawing is the area of formation of all shapes surrounding the reference and tribal learning of the learner, as it identifies the human psyche and provides a space for deepening the color and linear convergence of the visible world and highlighting the brightness of color in building his personality. Creating a room for breadth and appreciation of the properties, components, and location of things in the physical, cognitive, psychological and creative space and an important incentive in learning skills and educational behavior

Keywords : creativity; colors; drawing; art, learning.

* المؤلف المرسل:

1. التربية الفنية وتنمية السلوك الذهني والفني عند المتعلم

الفن نشاط جمالي ينمي مهارات تُعنى بالحواس والسلوك الإنساني، حيث يحرر حالة الوعي في أنماط تحفيز الرؤية والشكل ويحدد الاتجاه والزوايا، يكمنُ العالم الفاتن في النفس حيث تترسب المشاعر وتنتمي وتقيس درجة تشبعها الفني، ولذلك تسعى التربية الحديثة في استعمال كل ما يؤثر بالحس في تجلي العوالم المريحة في انبساط المعني وماهية الأشياء من خلال ملامسة وعملية تشكيل هوية "تعد الأنشطة الفنية ركنا من أركان التربية الحديثة وتمثل مع المواد الدراسية الأخرى نظاما يهدف إلى تحقيق التنمية الشاملة والمتوازنة لجميع جوانب الشخصية لما لهذه المواد من انعكاسات إيجابية على شخصية المتعلم من ناحية وعلى تنمية المهارات والمعلومات من ناحية أخرى، فهي تسعى إلى بناء فرد متكامل متوازن مع نفسه ومتفاعل مع محيطه البيئي والاجتماعي.¹ التوازن النفسي شرط أساسي في اكتمال قوانين المعرفة المتفاعلة والفاعلة مع المحيط التعليمي قدرة التوافق الاجتماعي، تنظم تدريجيا حسب الحاجات الأساسية التي يحتاجها المتعلم.

أهمية الألوان في تحديد الدلالات في فضاء العلامات الذهنية ذات العلاقات المزدوجة (دال/مدلول) وعلاقتها الاجتماعية من حيث المخزون الرمزي لدى الجماعة في مختلف الوضعيات وهي ذات أهمية قصوى في تحديد العمق والكنه والماهية فارتباط اللون الأحمر بالانتباه مثلاً وحضور الأزرق في الكتابة لأنه يعكس الهدوء على النفس كما للامتزاج دوره في خلق تفاعلي بين الألوان الأساسية وما يندرج منها "ولا يخفى على أحد الدور الذي يمثله اللون في حياة الإنسان، فاللون من أهم الظواهر التي تسترعي انتباه الإنسان، ونتيجة لذلك اكتسبت

¹ عبد الحليم مزور، أ.د: ترزولت عمروني حورية، الأنشطة الفنية: مفهومها، أهدافها، النظريات المفسرة لها والدوافع الفنية للمتعلمين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، العدد: 26، 2016، ص. 183

مع الأيام، وفي مختلف الحضارات دلالات ثقافية، وفنية، ودينية، نفسية، واجتماعية، ورمزية، وأسطورية، وتوطدت علاقتها بالعلوم الطبيعية وعلم النفس، وشكلت المادة الأساس للعديد من الفنون، والفن التشكيلي على وجه الخصوص¹ يساهم اللون أيضا في نوعية الطباعة والتناسق بين التدرج اللوني والاضاءة والحدة والبرودة بما تدركه العين ويأنس له الحس، ولذلك يعد فن الرسم من الفنون التي تكسب المتعلم طاقة كبيرة في تحديد كنه الأشكال وانغماسه التّعلمي ضمن عملية إدراك اللون وفق المظاهر الفيزيائية والفيزيولوجية والنفسية، وهذا التوازي بينها يثير القيمة المهمة لضرورة العناية بالرسم كمصدر لانفالات الأحاسيس وتفاعلها وشحن المواهب وتطويرها وبذلك تطوير نفس بشرية سوية وتستطيع التعبير والتشخيص، اللون في الشكل هو بمثابة التجسيد العملي لمكانة الأشياء ومعانها وقيمها.

"والواقع أن الإدراك الحسي للون ناجم عن ظواهر ثلاث:

ظاهرة فيزيائية وظاهرة فيزيولوجية وظاهرة نفسية، فاللون هو ما نراه عندما تقوم الملونات بتعديل الضوء فيزيائياً، بحيث تراه العين البشرية (عملية استجابة) ويترجم الدماغ (عملية إدراك) التي يدرسها علم النفس، واللون هو أثر فيزيولوجي ينتج في شبكية العين، حيث تقوم خلايا المخروطية بتحليل اللون، سواء أكان هذا اللون ناتجاً عن المادة الصباغية الملونة او عن الضوء الملون² اشتغال العين والذهن في العملية الادراكية يمنع قسماً واسعاً من المعرفة الفائقة الأهمية حيث هي عملٌ فني حاملٌ لمضمون الأفكار وحدودها وهو عاملٌ من عوامل التطور مما يبعث في النفس الرضا والقبول، كما يدرك المتعلم من خلاله حقيقة عالمه المختزل في تلك العلامات كالظلال والعممة

¹كلود عبيد، الألوان - دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالاتها-مراجعة: محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص.09
² المرجع نفسه، ص.15

والضوء والبيئة الثقافية التي تزرع جانبا مهما من التلقي والتواصل، واختيار الأساليب المثلى للتعبير وإيصال الخطاب النفسي للمضامين النفسية والاجتماعية والابداعية خروجاً من نمط التلقين إلى معايير التأثير والتأثر.

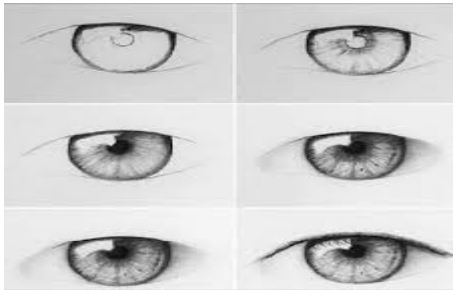
2. الرسم وماهية الشكل (الفراغ- التجسيم- التجريد) بناء المعرفة:

يتعلق الرسم بمجموعة من المهارات لبناء المعرفة وعلاقة الانسان بماهية الكون وخصائصه، فيصبح الفراغ بمثابة المحيط الذي يجب ارتباطه بحدود وقوانين تتحكم فيها نوعية الرسم والمخطط الذهني



الذي يصمم تلك المهارات فهو يحدد قدرة الذهن على التركيز الحركي نحو خاصية الأشكال وخواصها الهندسية والحسابية والتقنية وحدودها في معالم متتالية من النقاط، كما تُنمي الرسومات الدقة والفحص البصري للأشياء من حيث البُعد

والجوانب المتصلة بهذه الأبعاد التي تتمكن من التقاطها شبكة العين، في نوع آخر من التشكيل نجد الظلال وهي الأحياء التي يمكن للتخيل المفترض أن تسقطها الأجسام كانعكاس لمركزية وجودها

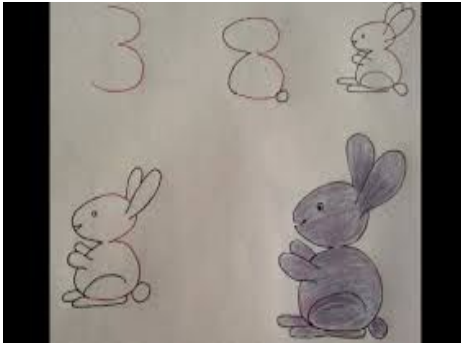


والمكان وجوهر الجسم بحد ذاته فن يعتمد على ذوق عالٍ واستثناء في درجة التخيل والحس يلزم بالحركة التي يثيرها الجسم كاتمء لمجموعة مثيرات تتعلق بالعناصر المنتمية له،

فالمنزّل حسب هذه الصورة يمكن تجسيد بناء للمؤولات نحو لغة

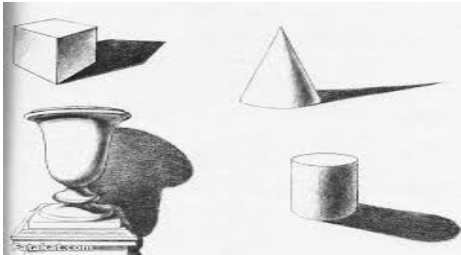
بصرية تروض النفس على الخيال وما يحمله من مؤشرات للإبداع الذي يصل إلى العبقرية والتفوق وحالة من الثقة نحو الوجود الكائن كما يساهم فن التجسيم على غرس الثقة بالنفس لأنه يشكل ويبحث من خلاله الجوهر الحقيقي للحياة والكونية.

قد يبدو الرسم حالة انفعالية نحو الموجودات لكنه يجدد طرائق الاكتساب وفعل التكامل عبر مراحل متتابعة يتشكل اللون والماهية المؤسسة هذا التتابع المرحلي في بناء الصورة يقدم للمتعلم كفاءة الوصول لوضعيات مختلفة ذات نتيجة وغاية محددة، تمثل فترات تعليمية، تشكيل العيون عبر هذه الصورة يتبع مراحل تصل للشكل النهائي ومن خلال هذه الفنيات يصل إلى الإدراك في التزام العقل بالنظام والترتيب والعمق الفني المدرك.



الخطوات الأولى في رسم الطفل المتعلم هي بمثابة نمو عقلي يركز على ما تحققه النفس وذلك الأثر يظل عالقا في الإنتاج الأول للمبادئ والأسس والركائز

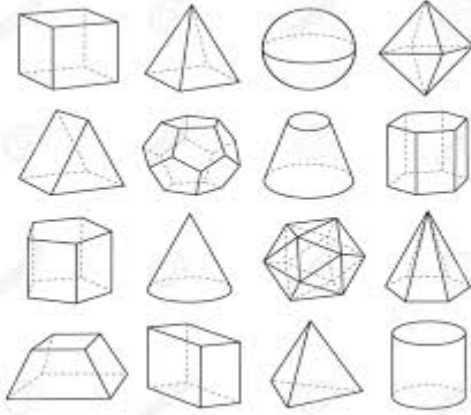
المهمة في تكوين المهارة، ذلك ان الرسوم التي يصل إلى رسمها تنبني على قدرة الاستيعاب والتعبير الجمالي والسلوكي عن تلك القدرة



الظلال التي تنعكس من المجسمات تلامس الأبعاد الخفية داخل الحس الباطني للمتعلم واستنباط هذه التقنيات يساهم في تحرير الخيال نحو الرؤية

الدقيقة للحجم والجاذبية التي تجمع الأبعاد في انعكاسها وكما تمنح طاقة تنبيهية لدى المتعلم في فهم الزوايا وعلاقة الزمنية بالمكان هذه

الثنائية الفيزيائية تُشكّل الجانب الظاهر والخفي في اشتغال الذهن والحس معاً حيث تكون رغبة التفاعل بين الاتجاه والجسم تلامس المنطق الفكري او صناعة تفكير منطقي عند المتعلمين.



المجسمات هي هندسة الفضاء التخيلي الذي انتقل فيه الانسان لتجسيم الأشياء المحيطة بوجوده خلال تأثير الطبيعة في صقل إبداع العقل وبناء خواص ثابتة للأضلاع والرؤوس التي تلامس حدود الشكل كما يميز حالة الثبات والحركة من خلال وجود

القاعدة أو غيابها في المجسمات الدائرية، ويميز مؤثرات الارتفاع والطول والعرض في إنشاء الجوانب العلمية للهندسة ومن ذلك تمثيل محاكاة للموجودات من حوله كالمنازل والعمارات والمؤسسات وغيرها من المنشآت التي تحيط بالتعلم.



الزخرفة هي جسد فني يحمل تفاصيل العلامات الخطية وتأملات الانسان في ذاته ومحيطه ومن أهم ما تمنحه للنشاط التعليمي:

أهمية التناظر بين الخطوط والألوان.

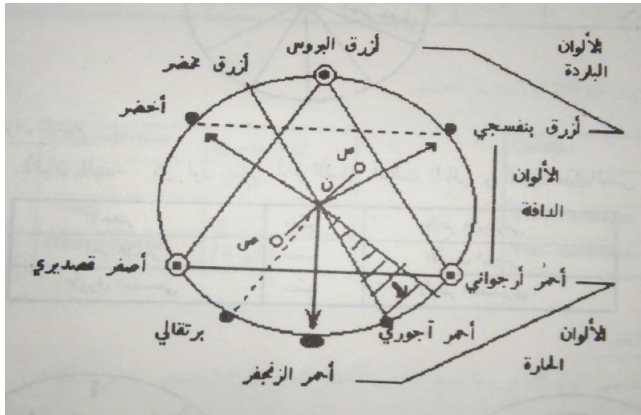
القياس التقني بأدوات القياس ومبادئ التقابل النظري للأشياء
بمعايير البعد والتطابق.

التوازي بين المنحنيات في تناظر تام يحقق درجة من الدقة.

احتواء الأشكال من الطبيعة والهندسة والحروف العربية بأحجام
تناسب لمحور تناظري.

تنمية كفاءة التركيز والمعيّار الفني للخواص بين مؤشرات الشكل
وتكامله الجمالي وتعزيز قدرة التأمل وتدرب السلوك على الصبر
والسكينة والتحكم في الذات التي تبدع الزخرفة لها ميول حسي
للهدوء والتركيز العالي.

خاصية الألوان في تداخلها وتقاطعها تخلق معالم لونية أخرى تغير
درجة تفاعلها حسب التداخل اللوني كما تعكس هذا ("س" و "ص"
تبعدان عن نقطة المركز "ن" وكلاهما "س" و "ص" متمم للآخر)



ويكون للون خاصية فيزيائية وفيزيولوجية وسلوكية في تنظيم و
تقبل معارف وتنضيد مساحة التباعد اللوني والتقارب، والتمازج،
تمنح لغة رمزية ومتحكمة في سيكولوجية التعلم الخبراتي.

الألوان الأساسية - الألوان الثنائية - بين الأساسية و الثنائية -
التمتمة -

3. الألوان ودلالات السلوك الإنساني الدافعية والتعلم:

تمثل الألوان الجانب الأساسي للرسم حيث تلازم درجتها الانعكاس البصري الحاصل في الذهن والتغيرات المزاجية لنفسية المتعلم وأثر درجة وقوة اللون التي تحدد الاختلاف والتنوع¹ يعنى بالدرجة اللونية قوة اللون أي قوة انعكاس الأشعة الضوئية حتى ان التسميات اللونية تختلف بهذا الاختلاف في اللون الواحد¹ التدرج اللوني هو امتزاج الألوان أو اتخاذها المكانة المحددة في التنظيم المعرفي اتجاه مستويات الدرجة والعمق والكُنه والايحاء بين تموجات الضوء.

تنقسم الألوان بين الباردة والحارة وتمنح سماتها وممكنات التأقلم السلوكي وتعطي استقرار دلالتها "ويطلق على الألوان الحارة أيضا اسم الألوان الدافئة أو الساخنة (الأحمر-الأصفر - البرتقالي) لأنها تميل إلى الضوء وألوان النار مصدر الحرارة ويكون ترتيب الألوان في الدائرة اللونية كما يلي: البنفسجي المحمر، الأحمر، البرتقالي المحمر، البرتقالي المصفر، الأصفر، الأصفر المخضر وهذه الألوان الحارة زاهية وصارخة وتعبّر عن النور والسعادة والفرح² وارتباط الألوان بهذا التقسيم راجع للامتداد التاريخي للشعوب وتصورها للعلامة التي يحملها اللون فارتبطت طاقة الألوان عند الإغريق والمصريين القدماء، والأشوريين والبابليين والرومان والهولنديون حيث مزجوا الألوان بالزيت، واستخرج الأبيض من كربونات الكالسيوم والأسود من الكربون وبقايا الاحتراق ومع تطور العصور صار من السهل تداخل الألوان ودمجها لإضفاء عنصر الاحتواء.

¹ المرجع نفسه، ص.10

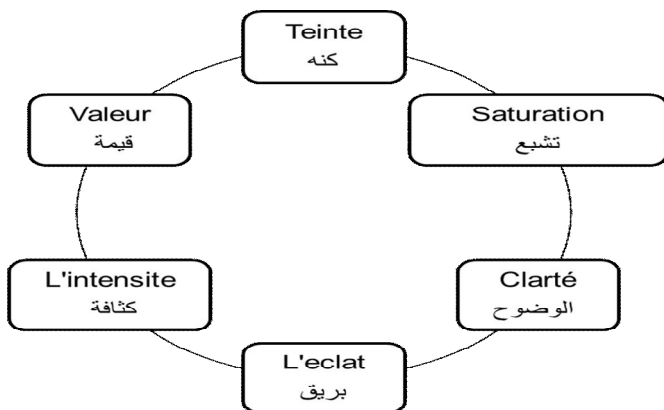
² كلود عبيد، الألوان - دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيها، ودلالاتها- مرجع سابق، ص. 21.

يتميز اللون بليونته في الامتزاج والتركيب كما في الكون يكون المغيّب هو تداخل اللون الأحمر والصفرة التي تتركها أشعة الشمس عند انصهارها في لّج السماء وهو الفضاء الذي يحقق مزايا لونية متعددة تثير انتباه المتعلم حين يعكس تأملاته "وسميت بالباردة نظرا لارتباطها بالفضاء القاتم، وعمق مياه البحر، وانتشار الليل وغياب الضوء، وهي مركبة على النحو التالي، الأخضر المعتدل، الأخضر المزرق، الأزرق، البنفسجي المزرق، البنفسجي المعتدل"¹ لا يتعلق اللون بحالة التأثير المباشر في البصر ومن ذلك الذهن فالعلاقات الناشئة بين المنتج من تفاعل الألوان هو حالة اكتشاف بالنسبة للمتعلم.

تختلف فعالية الألوان حسب النشاط التعليمي لأنها تؤدي علامات يدركها المتعلم، كما تتألف دلالتها بالردود الفعل كالتنبه واليقظة والنشاط... "لاحظ علماء النفس أن هناك فرقا بين الألوان الحارة و الألوان الباردة التي تساعد الأولى على التطور التدريجي للتكيف و النشاط، وتزيد من التيقظ والتنبه والفعالية، فيما تدفع الثانية نحو الاتجاه المعاكس إذ لها فاعلية المسكن والمهدئ"² قد تحدث الرسومات حالة من الانفعال والتفاعل التي تنتج أفكار المتعلم في الرسم الحر، كإسقاط للأحاسيس أو بناء للحس، أما الرسم بالتعلم المرحلي، يمنح الالتزام بالخواص التي تكون الشكل ومزايا اللون المناسبة ومعرفة مقاييس الأشياء وأبعادها ... ويختلف اللون في خاصيته التي تتكون عبر:

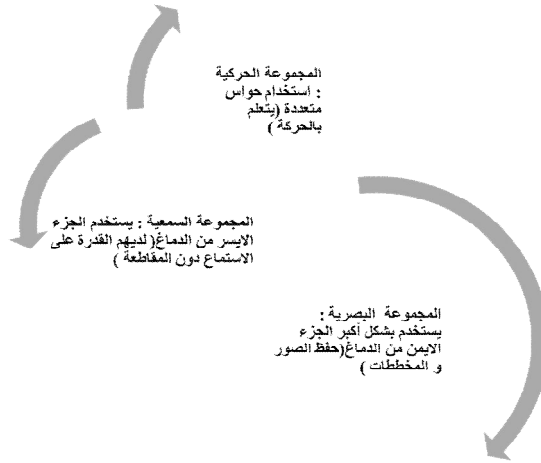
¹كلود عبيد، الألوان - دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالاتها-، مرجع سابق، ص. 22.

² المرجع نفسه، ص ص 22، 23.



تنشئة اللغة البصرية عند المتعلم بفنيات الرسم(نماذج)

ما تحققه اللغة البصرية هي تكوين الحدود التي تترجم علاقة الشيء بالذاكرة من حيث الماهيات والعمق التأثير في النفس حيث يرتاح الانسان للون دون آخر ويميل له ميولاً يقترب من التعود والالتزام، لكن في مجال التعلم يكون لدوال اللونية تمارس حضورها حسب الأصناف الثلاث للأطفال في حالة التعلم وطرائق التعليم، ويظهر هذا بين (الحركي-البصري - السمع) وهذا الخصائص الفيزيولوجية المتعلقة بالسلوك التعليمي يظهر جلياً في استعمال اللون حيث يميل الطفل الذي يستعمل السمع بإسهاب للألوان الباردة والبصري للألوان الحادة والحركي للتمازج بينهما ويمكن التعرف على خصائص المتعلمين كالتالي:



البصر هو التقاط الصور والذهن يعالجها في فهرسة موقعها الوجودي كما أن للأحداث ارتباط بالرسم كالمناسبات التي تجمع بين الرموز واللون والوقائع الحاملة للتفاصيل "تعمل كآلة التصوير التي تلتقط كل ما يمر أمامها في صور وأحداث"¹ ولهذا يرتبط اللون بمستودع الفكر وطبيعة الكون ومكانة الأشياء في النفس، وما حققته من أثر نفسي وروحي يلامس الحقيقة والافتراض

4. الرسم وعلاقته بالواقع السلوكي وتطوير مهارات التعلم بالفن.

من أهمية الألوان ما أثبتته الحضارات في العلاج النفسي وبالتالي علاقته الوطيدة بالسلوك ودرجة الاستجابة "وأثبت العلم الحديث، ان الألوان تزود الجسم بالطاقة، التي تعمل بدورها على تصحيح الاضطرابات الشعورية أو النفسية، بما فيها السلوك السيكوباتي ففي عام 1933 أثبت باحثان أمريكيان في الأمراض النفسية بطريقة عملية بأن اللون الأزرق تأثيراً مهدئاً، فيما يدفع اللون الأحمر إلى النشاط"²

¹ المرجع نفسه، ص. 12.

² كلود غبيد، الألوان - دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها-، مرجع سابق، ص. 26.

يمكن للمتعلم بالخبرة الفنية أن يصنع شخصيته ذات دافعية تعليمية في التحديد والدقة والايحاء والاتساع البصري في ماهية الأشياء عبر تقنيات توظيف الدرجات اللونية الخاضعة لمقاييس الاكتساب الذهني، والممارسة المعرفية بخاصية اللون.

ترجم بعض الدراسات العربية حيث يختلف اللون بالحالات الشعورية ويرتبط بعلاقات شمولية فاللون الأبيض ثوب زفاف في أمريكا وبعض القارات فاليابان والهند تستعمله للجنازات وباختلاف الثقافات تترجم البنية اللونية تماثلها المعرفي وامتدادها المشترك في مجتمع ما، لكن تأثر الخلايا باللون ودلالته يحدد نوعاً من العلاج السلوكي والنفسي "كما أجرى فريق من علماء الكلية الملكية في لندن دراسة حول تأثير الألوان على جسم الانسان، أظهرت أن لبعض الألوان قدرة علاجية حقيقة نظراً لارتباطها بغدد معينة في الجسم، وان هناك مراكز محددة داخل أجسامنا تتأثر بألوان الطيف السبعة المعروفة"¹ ولابد من استخدام ثقافة اللون كمعيار لخلق عالم من الماهيات الجمالية في التعلم وتنمية القدرات الذهنية والاسهام في تجسيد العلم المعاصر الذي يعتمد على الفنون الجميلة التي يدركها الطفل عبر الحركة والاحساس والإيقاع الذي يخلق الدافعية والرغبة ذلك أنه يجد عالمه بملامسته وإعادة إمكاناته الفكرية وارتباطها بالاكشاف والبناء والتّمرّكز وهذا عبر مختلف الرسومات الهندسية والزخرفية والتشكيل هي خواص تُحدث الحدث المميز للتعلم لدى المتعلم.

خاتمة:

الفن هو ذاته التعلم مثلما مارسه القدماء (فن الشعر)، (فن الخطابة) لأرسطو، تتأجج حالات الحركة و الحس والعمليات الذهنية التي يحققها الرسم واستعمال الألوان بخصائصها يمنح طاقة شعورية بين خصوصية الأشياء في بناء مهارات تضيف لكيونة المتعلم قدرة الاستجابة والتحليل والتفاعل والاندماج والثقة كما تتعدد مزايا الرؤية نحو المثيرات التي تنعي درجة حدود المعرفة:

- المعرفة بالأنفس وتقدير الذات؛

¹ مرجع نفسه، ص. 20.

- مهارات تحديد الأبعاد- العمق- الكنه- الحجم -حدود الأشياء وخواصها؛
 - تنظيم الدماغ الإنساني على التركيز والتفكير العميق؛
 - تعزيز النشاط وتوظيف الخواص المهمة في مركزية التعلم (الحس-الحركة- البصر – السمع) مع مادة الرسم؛
 - توظيف الألوان كحالة نفسية سلوكية معالجة؛
 - تنمية الذوق الفني والتذوق الجمالي.
- قائمة المراجع:

1. كلود عبيد، الألوان – دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالاتها- مراجعة: محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
2. محمد هاشمي، دراسة الألوان، دار الفنك للنشر، الجزائر، ط1، 1994م.
3. محمد عبد الجواد كيف يتذكر الطفل، مؤسسة بداية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013
4. عبد الحليم مزور، أ.د: ترزولت عمروني حورية، الأنشطة الفنية: مفهومها، أهدافها، النظريات المفسرة لها والدوافع الفنية للمتعلمين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، العدد: 26، 2016.